المحاضرة الثانية: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وكتاب الخصائص لأبن جني

أولاً: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي:

بدأ الاهتمام بتأليف المعاجم العربية في النصف الثاني للهجرة تزامنا مع حركة الجمع الموضوعي للغة كذلك، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من بَعّج هذا السبيل من خلال وضعه لمعجم العين، الذي حاول فيه جمع المفردات العربية وفق نظام منهجي ذي قواعد وأسس موضوعية، لاسيما بعدما أصبحت الحاجة ملحة لذلك فقد «مهّد لنشأة المعجم العربي جملة من الأسباب الدينية والاجتماعية والثقافية، وأهم هذه الأسباب حراسة القرآن الكريم خوفا من أن يقع فيه خطأ في النطق أو الفهم وفهم القرآن الكريم لا يتأتى إلا إذا عرفنا تفسير كلماته وقد ورد في القرآن الكريم كثير من الغريب والنوادر وكثير من الألفاظ التي استغلق فهم معانيها على الفصحاء من العرب، كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس ولذلك كانوا يستعينون بكلام العرب والشعر لبيان معاني القرآن الكريم»[1]، والجدير بالذكر أن مدرسة الخليل في صناعة المعاجم (مدرسة التقليبات الصوتية) تعد «أول مدرسة معجمية عربية وأنها كانت سببا في ظهور معاجم الألفاظ طفرة واحدة»[2]، وسنحاول التعرف على مؤسسها ومنهجها على نحو من التفصيل.

1- ترجمة الخليل بن أحمد الفراهيدي:

«هو أبو عبد الرحمن: الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفرهودي والفراهيدي، نسبة إلى فراهيد وهي بطن من الأزد مفرد (فراهيد)[3] ولد سنة 100 هـ على أرجح الروايات فيما يعرف الآن باسم عُمَان على شاطئ الخليج العربي، ثم انتقل إلى البصرة غلاماً فشبّ بها وتلقى العلم ودرس لذلك يشتهر بلقب البصري»[4]، وقد تتلمذ الجليل على شيوخ أجلاء نذكر منهم أبو الأسود الدؤلي، وعطاء ويحى بن يعمر، وميمون الأقرن وعنبسة الفيل وأبو عمر بن العلاء. كما تتلمذ على يده خلق كثير ممن خدموا العربية منهم: سيبويه، صاحب الكتاب والليث بن المظفر الكناني، والكسائي والنضر بن شيمل، وعاصم الأحول. كما تميز الخليل

[1] - عبد الحميد أبو سكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، الفروق الحديثة للطباعة والنشر، مصر، ط2، 1981، ص:17.
[2] - عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والتراجم، ط2، لبنان، 1972، ص: 83.
[3] - والفرهود في اللغة شبل الأسد.
[4] - المرجع السابق، ص:84.

ببراعته في الحساب والفرائض، وقد عُرِف الخليل بالزهد والصلاح والعزوف عن الدنيا وملذاتها.

وتوفى على الأرجح سنة 175 هـ.

ويُعدد عمر الدقاق جهود الخليل ويثني عليه بقوله: «الخليل بن أحمد الفراهيدي أحد أفذاذ العرب **الذين قلّما جاد الدهر بمثلهم**. وما من ريب في أنه سابق عصره، إذ استطاع وهو من رجال القرن الثاني الهجري والحضارة العربية في فجرها أن يقدم بفكره الخلاق اكتشافات رائدة في ميادين شتى فكان أول من ابتدع فكرة المعجم في لغة العرب، وأول من حصر أشعار العرب في أوزان عروضية اهتدى إليها، كما أنه أول من عمد إلى زمِّ أصناف النغم وحصر أنواع اللحون والموسيقى»[5]

منهجه في وضع الكتاب:

لقد تميز الخليل من غير بالكثير من الأفكار «والحق أن عبقرية الخليل في معجمه (العين) تتجلى في أنه انطلق فيه من بنات أفكاره فلم ينسجه على منوال ولم ينح فيه على مثال، حتى إن كثيرا من الرسائل والمصنفات في اللغة لم تكن قد الفت في عصره»[6]، حيث اعتماد أسسا مبتكرة شكلت آلة ضبط لمحتوى الكتاب وسنورد هذه الأسس كما يلي:

1-الأساس الأول: تجريد الكلمة من زوائدها: حتى يمكن وضعها في مكانها المناسب لها حسب أصولها بين ثنايا المعجم، مع ملاحظة أنه إذا كان أحد أحرف الكلمة محذوفا ردّه إلى مكانه، وإذا كان مقلوبا ردّه إلى أصله الأول، فالكلمات: استكبر تقابل تمنطق تخلخل عثمان بعد تجريدها من الزوائد تصبح: كبر، قتل، نطق، خلخل، عثم. والكلمات: يد، فم، أخ، أب، تصبح بعد رد المحذوف إليها: يَدَي، فموٌ، أخوٌ، أبوٌ، وهكذا

2-الأساس الثاني: وهو تقليب الحروف التي تتكون منها الكلمة على كل وجه ممكن، ليتمكن من حصر جميع ألفاظ اللغة، مع التنبيه على المستعمل وشرح معانيه وإهمال المهمل وخاصة في الرباعي والخماسي.

-فإذا كانت الكلمة ثنائية قلبها على وجهين فقط مثل: (ل ن) و (ن ل).

---

[5] - عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والتراجم، ص2، 1972، ص: 171.

[6] - المرجع نفسه، ص: 171.

- وإذا كانت أصولها ثلاثية قلبها على ست صور مثل: ب ك ر فإنه يمكن أن يأتي منها أيضا: (ب ر ك)، (ك ب ر)، (ك ر ب)، (ر ب ك)، (ر ك ب).

- وإذا كانت أصولها رباعية مثل جعفر قلبها على أربعة وعشرين صورة.

- وإذا كانت أصولها خماسية مثل (زبرجد) قلبها على مائة وعشرين صورة.

الأساس الثالث: وضع هذه الأصول التي قلّبها على وجوهها الممكنة تحت أبعد الروف منها مخرجا لأنه اتخذ الترتيب الصوتي أساسا لتنظيم معجمه حيث رتب الحروف مبتدئا بالحلق ومنتهيا بالشفتين، ولذلك جاء ترتيبه للحروف كما يلي:

ع ح هـ خ غ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ط د ت/ ظ ث ذ/ ر ل ن/ ف ب م/ و ا ي همزة

ومثال ذلك كلمة: الموقف: تجرد أولا من الزوائد فتصبح وقف، ثم توضع هي ومقلوباتها في مكان واحد هو حرف القاف لأنها أبعد الحروف الثلاثة مخرجاً.

الأساس الرابع: تقسيم كل حرف من حروفه إلى ستة أبوابك

1-الثنائي ومضاعفه مثل: قد قدّ دقّ عفّ فعّ رصرص صرصر

2- الثلاثي الصحيح وهو ما كانت أحرفه الثلاثة صحيحة مثل: نجم، قتل، برز، ظهر.

3-الثلاثي المعتل بحرف علة واحد ثلاث أنواع:

- المثال: ما اعتلت فأؤه مثل: وقف، وعد
- الأجوف: ما اعتلت عينه مثل باع قال
- الناقص: ما اعتلت لامه مثل عمى، نمى

4- الثلاثي اللفيف: ما اشتمل على حرف صحيح وحرفين من حروف العلة وهو نوعان:

أ- اللفيف المقرون: ما اجتمع فيه حرفا العلة مثل: غوى، نوى.

ب- اللفيف المفروق: ما تفرق فيه حرفا العلة مثل: وقى، وفى.

5- الرباعي: ما تكون من أربعة أحرف أصلية مثل: جعفر دحرج.

6- الخماسي: ما تكون من خمسة أحرف أصلية مثل: خزعبل، زبرجد.

وقد فعل الخليل ذلك لأنه لاحظ أن كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي. كما لاحظ أنه «ليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل واسم فاعلم أنها زائدة

على البناء، وليست من أصل الكلمة مثل: قرعبلانة، إنما أصل بنائها قرعْبل، ومثل: عنكبوت إنما أصل بنائها عنكب»

«ومن جهة أخرى يحيط بعض الشك بصحة نسبة الكتاب إلى الخيل فبعضهم ينكر أن يكون له ونسبه إلى تلميذه الليث بن المظفر وبعضهم يثبت كونه له.

ومما يبعث على الأسف العميق أن كتاب العين لم يصل إلينا كاملاً، وكل ما وبين أيدينا منه جزء يسير من أوله. وقد طبع فاستغرق 144 صفحة تنطوي على مقدمة الخليل في نحو عشر صفحات يبدأ بعدها المعجم وهذا الجزء يكشف لنا على كل حال عن طريقة الخليل ومنهجه وطبيعة مادته»[7]

ثانيا: كتاب الخصائص لابن جني:

ترجمة ابن جني:

هو أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بابن جني كان أبوه جني روميا يونانيا وكان مملوكا لسليمان بن فهد بن أحمد الازدي ومن ثمة نسب ابن جني أزديا بالولاء[8] عالم نحوي كبير ولد بالموصل عام (322هـ) ونشأ وتعلم النحو على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش، ومن أبرز شيوخه ابن مقسم، رواية ثعلب، وأبو الفرج الاصبهاني، صاحب الأغاني، ومحمد بن سلمة، كما صحب أبو على الفارسي وأخذ عنه منذ أن لقيه في مسجد الموصل يتكلم في مسألة قلب الألف نحو قال قام قال، فاعترض عليه أبو علي الفارسي ونبهه فوجده مقصرا ونبهه إلى الصواب فقال له: تزببت وأنت حصرم. فلحقه ولزمه أربعين سنة «وتؤكد رواية ابن جني عنه في كتبه، ودوام ثنائه عليه تلك المكانة العالية التي احتلها أبو علي لدى تلميذه، وكان ابن جني لا يملُّ من إظهار تعلقه بأستاذه وترجيح علمه وتقبل رأيه: يقول فيه في الخصائص: ج1/ 278/277: ولله هو عليه رحمة الله فما كان أقوى قياسه، وأشهد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه! فكأنه إنما كان مخلوقا له، وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه

[7] - عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والتراجم، ص2، 1972، ص: 178.
[8] - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، دط، دت، ج1، ص:5.

الطريقة مع جلة أصحابه وأعيان شيوخه سبعين سنة، زائحة علله، ساقطة عنه كلفه وجعله همه وسدمه»[9]

كما كانت له صلة قوية بالمتنبي «فربما سمع كل منهما عن الآخر قبل لقائهما ولكن كان أن اجتمعا بحلب عند سيف الدولة بن حمدان فتبادلا الإعجاب والتقدير، وفطن كل منهما إلى قدر الآخر وعرف منزلته فكان المتنبي يقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره أو عن معنى قاله، او توجيه إعراب حصل فيه إغراب يقول سلوا صاحبنا يعني ابن جني»[10].

تتلمذ عليه وأخذ عنه الثمانيني، وعبد السلام البصري، وأبو الحسن السمسمي وعلي بن زيد القاشني وثابت بن محمد الجرجاني وعلى بن هلال البواب وغيرهم.

قال عنه الثعالبي: «هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب وكان الشعر أقل خلاله لعظم قدره وارتفاع حاله، كما قال عنه ياقوت الحموي عثمان بن جني من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والصرف»[11]

من أشهر مؤلفاته كتاب سر صناعة الإعراب، المحتسب في شواذ القراءات، اللمع في العربية، تفسير ديوان المتنبي (الفَسْر)، المذكر والمؤنث، الألفاظ المهموزة، التصريف الملوكي، التمام والعروض، المنصف في شرح تصريف المازيني، إعراب الحماسة...

وكانت وفاته سنة(392هـ).

تعريف كتاب الخصائص:

وهو من أجل المصادر اللغوية العربية «يقدم ابن جني الخصائص إلى بهاء الدولة الذي تولى الملك في بغداد مع الخضوع للخليفة العباسي سنة 373هـ إلى سنة 403هـ ويبين هذا أنه قد ألف الخصائص بعد أستاذه أبي على الذي كانت وفاته سنة 388هـ وتراه يقول في الخصائص في باب الاشتقاق الأكبر: غير أن أبا على –رحمه الله- كان يستعين به»[12]

---

[9] - سعيد بحيري، المدخل، ص:206.

[10] - المرجع نفسه، ص: 206.

[11] - أحمد بن الحسين الخباز، توجيه اللمع، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص:9.

[12] - الخصائص، ج1، ص:69.

«ويبدو فضله وعلمه في كتبه ومباحثه التي توفر عليها وأحسن عرضها وهو بحق فيلسوف العربية وباقرها. ويغلب على مباحث ابن جني طابع الاستقصاء والغوص في التفاصيل والتعمق والتحليل واستنباط المبادئ والأصول من الجزئيات وهو في هذا يشبه ابن الرومي في الشعر، وكأنما للجنس الرومي الذي ينتميان إليه أثر في هذا»[13]

فكتاب الخصائص إذن لا يبحث في جزئيات اللغة العربية فهو ليس كتاب صرف أو نحو فقط أو عروض بل هو كتاب يبحث في كليات اللغة العربية (فلسفتها) وهذا ما ينسجم مع عقلية صاحبه المتقدة التي تميل إلى التقصي والاستقصاء «فالكتاب يبحث إذن في خصائص اللغة العربية يتقدمها حديث مفصل عميق في قضايا لغوية عامة مثل حديثه عن الفصل بين الكلام والقول وفيه كثير من سمات نهج ابن جني وهي الشغف بالاشتقاق والتقليبات والتصريف وشرح الدلالات وبيان الفروق الدقيقة وتقديم الشواهد المختلفة من التراث شعرا ونثرا فهو يطرح تعريفات شتى للكلام والقول للتمييز بينهما تمييزا حادا وضحا، وفي أثناء ذلك الموضوع الأساسي يستطرد في مشكلات صرفية أونحوية او دلالية جزئية»[14]

[13]- الخصائص، ج1، ص:26.

[14] - سعيد بحيري، المدخل، ص:209.